قسم الحديث وعلومه – الدراسات الأولية – المرحلة الرابعة – علم الطبقات

أ.د. غازي نايف حميد

المحاضرة رقم (١)

مقدمة

بسم الله ،والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه والسالكين سبيله والداعين بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد ؛

فقد لقيت السنة النبوية ولا زالت عناية خاصة من المسلمين منذ عصر الصحابة حتى يومنا هذا بحيث نفت عنها تحريف الغاليين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين .

وتجلت هذه العناية في صور شتى من بينها وضع مصنفات قطب رحاها ومركزها خدمة الحديث النبوي وكانت هذه المصنفات من الكثرة والسعة والضخامة أن شكلت كل مجموعة منها علما مستقلا قائما بذاته ، ولعل من أبرز هذه العلوم (علوم طبقات الرواة) لما له من ثمرات ليس على الحديث وحده وإنما على علوم أخرى كعلم الاجتماع ، وما يسميه علماؤنا قديما علم العمران البشرى ، كعلم التاريخ العام وكعلم الحضارة ونحوها .

بيد أن مما يؤسف له أنه لم ينبر أحد من المعاصرين لا سيما المهتمون والمشتغلون بالحديث النبوي إلى تجلية هذا الأمر وإبرازه لينتفع أهله به مستغنين عن استيراد ما عساه يكون مخالفا لقيمنا وأخلاقنا نحن المسلمين .

- ماهية الطبقات لغة و اصطلاحا :

لغةً / جمع طبقة ، وتأتي على معان منها :

١-**ما يغطى الشئ ويغشيه :** تقول : أطبق الشيء وضع طبقة منه على طبقة وأطبق الشيء : غطاه .

٢-**تو افق الشيء** ،القوم المتشابهون أو الجماعة من الناس يعدلون جماعة مثلهم .

٣-**المرتبة أو المنزلة :** تقول الناس طبقات مراتب ومنازل .

ولا تعارض بين هذه المعاني جميعا إذ مآلها الشيء المساوي والموافق غيره في الرتبة والمنزلة بحيث يكون كل منهما كأنما هو غطاء وغشاء للآخر .

اصطلاحًا / فلها تعار يف منها :

١-القوم المتشابهون أو المتقاربون في الإسناد أو لقاء المشايخ .

٢-الجيل بعد الجيل : كجيل الصحابة وجيل التابعين ، وجيل أتباع التابعين أو جيل الكبار منهم أو المتوسطين أو الصغار .... وهكذا .

ومثال ذلك : أنس بن مالك ﷺ مع باقي الصحابة ؛ إذا نظرنا إلى قربه منهم في السن ولقاءه بالنبي ﷺ فهو من طبقة الصحابة ،وإذا نظرنا إلى السبق في الإسلام والجهاد والنصرة وشهود المشاهد ونحوها فهو من طبقة السابقين وطبقة البدريين وطبقة أهل بيعة الرضوان ....وهكذا .

ـ نشأة علم الطبقات وتطوره حتى يومنا هذا :

أما نشأة علم الطبقات كعلم له مقدماته وأصوله ، ، ومعالمه فهي متأخرة لم تظهر في الأفق إلا بعد فصل علوم الحديث عن العلوم الأخرى في القرن الرابع الهجري على يد أبي محمد :الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد المعروف بالرامهرمزى ت ٣٦٠هـ في كتابه : "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي" .

وإن كان التأليف على الطبقات قديم يعود تاريخه إلى ظهور تاريخ التدوين والتصنيف مثل : طبقات ابن سعد محمد بن منيع كاتب الواقدي ت ٢٣٠ هـ ، وطبقات خليفة بن خياط ت ٢٤٠هـ وغيرهما

وظاهر الحال أن الكلام على هذا العلم من ناحية توصيفه وتقييمه نشأ متأخرا وظل ينمو ، كما يظهر في كتب الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ ، وعلوم الحديث لابن الصلاح ت ٦٤٣هـ المعروف بالمقدمة والكتب التي دارت حولها كتقريب النووي ت ٦٧٦هـ وألفية العراقي ت ٨٠٦هـ ، ولعل أوسع من وقفت عليه ممن تكلم في هذا العلم من الناحية النظرية هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالسخاوي ت ٩٠٢هـ إذ كتب فصلا كاملا في فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي حول علم الطبقات تناول فيه مكانته وفوائده وتعريفه وعلاقته بعلم التاريخ ومنهج العلماء في التقسيم على الطبقات والمآخذ الواردة على هذا العلم وأنواع كتب الطبقات مرتبة على الموضوع إلى غير ذلك من المباحث ..وكذلك العلامة الشيخ مصطفى بن عبد الله الكاتب الجلبي المعروف بالحاج خليفة ت ١٠٦٧هـ في كتابه : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون حيث سرد كتب الطبقات على الموضوع مبينا خصائص كل كتاب ومضمونه ومحاسنه ومثالبه في إيجاز شديد وإسماعيل باشا البغدادي ت ١٣٣٩هـ-١٩٢٠م في إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون ،أما في الحديث فما أكثر الكتب التي تناولت هذا العلم ولكن ضمن علوم أخرى مثلما جاء في الكتب المختصر في علم رجال الأثر للشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف وما جاء في محاضرات في علوم الحديث "للشيخ مصطفى التازي"، وما جاء في الوسيط للشيخ محمد أبو شهبه وما جاء في بحوث تاريخ السنة المشرفة للدكتور أكرم ضياء العمري وما جاء في السنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب وغيرها ولكن أوسعها في نظري ما جاء شبه دارسة مستقلة مفصلة ذكرها الدكتور أكرم ضياء العمري في تقديمه لكتاب الطبقات عمل خليفة بن خياط .